

حُسْنُ الظنِّ بِاللَّهِ ﷻ

أيها القارئ الكريم:

كُنْ دائماً حَسَنَ الظنِّ بِاللَّهِ - وَلَا تَحْمِلْكَ مَعْصِيَتُكَ عَلَى الْفِرَارِ بِهَا؛ يَا سَأْ
وَقُتُوطاً « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْطُرُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءَ النَّهَارِ وَيَسْطُرُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ
لِيَتُوبَ مُسِيءَ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا » ^(١) كما ورد في صحيح مسلم
عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

وروى مسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ تَابَ قَبْلَ
أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ » ^(٢)

وروى الترمذي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - عن
النبي ﷺ قال: « إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغِرْ » ^(٣)

﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ

اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٤)

فكن دائماً حسن الظن بالله، سريع الرجوع والتوبة إليه؛ فإن الله يفرح

بتوبتك « لِلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ أَضَلَّ رَأْحِلَتَهُ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ » ^(٥)

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) الزمر : ٥٣.

(٥) رواه ابن ماجه.

إن رحمة الله واسعة فلا تقنط أبداً من رحمة الله، واذكره تجده معك « أنا مع عبدي حيثما ذكرني وتحركت بي شفأه »^(١)

في الحديث المتفق عليه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي، فإذا امرأة من السبي تسعى، إذ وجدت صبياً في السبي، أخذته، فألرقته بطنها، فأرضعته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أترون هذه طارحةً ولدها في النار؟ قلنا: لا وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال: لله أرحم بعباده من هذه بولدها »^(٢)

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول: « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله صلى الله عليه وسلم »^(٣)

وفي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « قال الله صلى الله عليه وسلم: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسي ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم، وإن تقرب إلي بشبرٍ تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولةً »^(٤)

أخي المسلم:

كن - في جميع أحوالك - حسن الظن بالله. وإن ألمت بك ضائقة عليك أن تحسن الظن، وأن تعلم أن مع العسر يسراً، وأن مع الضيق فرجاً، وأن الأمور بيد الله وحده، فلا يحملنكم استبطاء الفرج على استعجاله.

(١) رواد البخاري.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواد مسلم.

(٤) رواد مسلم.

وإن أمدك الله بنعمته كُنْ حسن الظن بالله وأنت تنفق مما أعطاك الله، فيدُ الله
ملاى، ويده خزائن السماوات والأرض. فأد حقَّ الله واثقاً في عطائه. مؤمناً بجزائه.
وإذا وقعت منك خطيئة أو ذنب كن حسن الظن بالله واعلم أن ندمك عليها
عملٌ صالحٌ متقبَّل، فُتِب إلى الله، فإن الله - جَلَّ وَعَلَا - يفرح بتوبتك ويغفرُ ذنبك
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١)
وإذا أحسنت في عمل من الأعمال فاعلم أن أساس قبوله شعورك بفضلِ الله
عليك وتوفيقه لك.

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

إنك بذكر الله تصون نفسك من عبث الشيطان الذي يُحب أن يُفسدَ عليك
طاعتك، بإدخال الرياء إليك، وتوجيه نظرك بطلب المكانية عند الناس لا عند الله.
إنك بذكر الله تغلق على الشيطان أبواب الدخول إلى نفسك بإفساد ما حَسُن
من عملك. وكم من ناس أفسدَ عليهم الشيطان أعمالهم الطيبة بما أدخله على نفوسهم
من طلب السمعة والذكر عند الناس.

فأنت ترى أنك في جميع أحوالك تحتاج إلى صدق التوجه إلى الله والاستعانة
به، واحذر أن يصرفك الشيطان - في خطفك أو صوابك، في طاعتك أو معصيتك -
عن التوجه إلى الله تائباً مستغفراً شاكراً لأنعمه، راجياً فضله، طالباً مغفرتَه ﴿وَإِذَا
سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ فَلْيَسْتَجِيبُوا

لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٢)

(١) النساء : ١١٠.

(٢) البقرة : ١٨٦.

روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « قَالَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقَرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تَشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتَكَ بِقَرَابِهَا مَغْفِرَةً » ^(١)

وفي الحديث المتفق عليه عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « يُدْنِي الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ، فَيَقْرُرُهُ بِذُنُوبِهِ فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، فَيَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ. قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ » ^(٢)

أخي المسلم:

أرأيت ما يحدثك به الصادق الأمين عليه السلام عن رحمة الله.. إنَّ الحُرَّ الكَرِيمَ هو الذي يدين لهذا الفضل الواسع بالوفاء والطاعة، ووافؤك لربك أن تعبدَه ولا تشركَ به شيئاً، ووافؤك لربك أن تستعينَ به وأن ترجوه وأن تُلجَّ في مسألتك. إن العباد يضيقون إذا توجهت إليهم أو أكثرت عليهم. لكن الله الرحمن الرحيم يحبُّ منك أن تسأله وأن تطلبَ منه، وهو الكَرِيمُ الذي لا يرد من سأله.. وهو الحي الذي لا يموت، والجنُّ والإنس يموتون، فتوكل على الحي الذي لا يموت.

« ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ » ^(٣)

اللهم ارزقنا خالص القصد لك، وحسن التوجه إليك.



(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الطبراني.

الطيب المقبول

أيها القارئ الكريم:

تُقْبَلُ النفسُ على كلِّ جميل طيب، وتُنْفَرُ من كلِّ قبيح خبيث.
وكلُّ طيب عند الله مقبول. وكلُّ خبيث مبعث مردول.

« إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً »^(١)

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾^(٢)

والمالُ منه الطيبُ ومنه الخبيث. فالطيبُ ما أحله الله - جَلَّ وَعَلَا - وأُدِّيَ
حقُّ الله فيه، والخبيثُ كلُّ ما حرَّم الله - جَلَّ وَعَلَا - ونهى عباده عنه ﴿ يَتَأْتِيهَا
النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ
لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾^(٣) ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ
الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾^(٤) ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا
طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾^(٥) ﴿ يَسْأَلُونَكَ
مَادَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ﴾^(٦) ﴿ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا

(١) رواد مسلم.

(٢) فاطر : من الآية ١٠.

(٣) البقرة : ١٦٨.

(٤) المائدة : ٨٨.

(٥) النحل : ١١٤.

(٦) المائدة : من الآية ٤.

تَتَّبِدُّ لَوْأَ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴿١١﴾

والأعمال منها الطيبُ ومنها الخبيثُ. فالطيبُ ما وافق شرعَ الله ولم يخالفه، وقصدَ به وجهَ الله، والخبيثُ ما خالف شرعَ الله.

والله - جَلَّ وَعَلَى - قد أحلَّ للناس الطيبات وحرَّم عليهم الخبائث ﴿ الَّذِينَ

يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۗ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١﴾

والكلمة منها الطيب ومنها الخبيث ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً

كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٢﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ

كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿١٤﴾

والناسُ منهم طيبٌ ومنهم خبيثٌ: فالْمؤمنُ طيبٌ والمؤمنُ أطيْبٌ من عمله،

والكافر خبيثٌ وعمله خبيثٌ، والكافر أخبثٌ من عمله.

(١) النساء : من الآية ٢.

(٢) الأعراف : ١٥٧.

(٣) إبراهيم : ٢٤-٢٦.

﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۗ وَالَّذِي خَبثُ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا ۗ كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (١)

والله - جلَّ وعلا - يميزُ الحبيث من الطيب ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الطَّيِّبَ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ ۗ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٢) ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ (٣) ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۗ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٤)

والطيبون لهم الجزاء الطيب، حنةُ الله ورضوانه ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٥) ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۗ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (٦)

(١) الأعراف : ٥٨ .

(٢) الأنفال : ٣٧ .

(٣) آل عمران : من الآية ١٧٩ .

(٤) المائدة : ١٠٠ .

(٥) النحل : ٣٢ .

(٦) الزمر : ٧٣ .

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَقَابٍ ﴾^(١)

طوبى: قيل هو اسم شجرة في الجنة. وقيل: بل إشارة إلى كل مُسْتَطَاب في الجنة، من بقاء بلا فناء وعز بلا زوال، وغنى بلا فقر.

أخي المسلم:

تحراً الطيبات دائماً في كل قصد وعمل، واحذر كل حبيث من كليم أو مال أو سلوك، وفي الحلال مُتَّسَع. واتق الشبهات وابتعد عنها يسلم لك دينك وعرضك. واحذر أن تقترب منها؛ حتى لا تقع في الحبائث.

في الحديث المتفق عليه عن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « الْحَلَالُ بَيْنَ، وَالْحَرَامُ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمَشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَّاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ »^(٢)

وانظر ماذا كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ.

روى البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: « كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيحٌ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - وَمَا أَحْسِنُ الْكِهَانَةَ - إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ،

(١) الرعد: ٢٩.

(٢) متفق عليه.

فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتِ مِنْهُ. فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ» (١)

وروى البخاري عن نافع أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «كَانَ فَرَضَ
لِلْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ فِي أَرْبَعَةِ، وَفَرَضَ لِابْنِ عُمَرَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَخَمْسَ
مِائَةٍ. فَقِيلَ لَهُ: هُوَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَلِمَ نَقَصْتَهُ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا هَاجَرَ
بِهِ آبَاؤُهُ، يَقُولُ: لَيْسَ هُوَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ» (٢)

رضي الله عن صحابة رسول الله أجمعين.

بل انظر إلى مَنْ كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ صلى الله عليه وسلم كيف يتعد عما يُشْتَبِه في أمره مهما

صَغُرَ، في الحديث المتفق عليه عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد تَمْرَةً في الطريق فقال: «
لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لِأَكْلَتِهَا» (٣)، وروى الترمذي عن الحسن بن
علي - رضي الله عنهما - قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم «دَعِ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا
يَرِيْبُكَ» (٤) أي: اترك ما تَشْكُ فيه، وخذ ما لا تَشْكُ فيه.

وفي حديث الترمذي عن عطية بن عروة السعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

«لَا يَلِغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذْرًا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ» (٥)



(١) رواد البخاري.

(٢) رواد البخاري.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواد الترمذي.

(٥) رواد الترمذي.

الظلم ظلمات

إن الذي يحب أن يستبرئ لِعَرَضِهِ ودينه عليه أن يَتَّقِيَ الشُّبُهَاتِ؛ حتى لا يقع في الحرام.

وإن من أعظم نعم الله على الإنسان أن يُرزقَ الرضى بما أعطاه الله، فلا يتطلع إلى ما لا يحل له، ولا يأخذ الأشياء إلا من محلِّها.

والذين يتركون أنفسهم، ليحصلوا على كل ما تشتهي النفس وترغبه سيقودهم هوى النفس إلى مظالم ومنكرات، «والظلم ظلمات يوم القيامة»^(١)

ولو أيقن الإنسان أن كلَّ شئٍ سيُحاسبُ عليه لترك ما لا بأس به؛ حذراً مما به بأس، ولا تَقَى الله في كلِّ شئٍ وخافَ عقابه ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى

اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٢)

روي أنه كان عند يونس بن عبيد حُلَّةٌ مختلفة الأثمان، ضربَ قِيمَةَ كُلِّ حُلَّةٍ منه أربع مئة، وضربَ كُلَّ حُلَّةٍ قِيمَتُهَا مائتان، فَمَرَّ إلى الصلاة وخَلَّفَ ابنَ أخيه في الدُّكَّانِ، فجاءَ أعرابيٌّ وطلبَ حُلَّةً بِأَرْبَعِ مِئَةٍ، فعرضَ عليه من حُلَلِ المائتين، فاستحسنها ورَضِيَهَا واشتراها ثم مضى بها، وهي على يديه، فاستقبله يونسُ فعرفَ حُلَّتَهُ، فقال للأعرابي: بكم اشتريت؟ فقال الأعرابي: بأربع مئة، فقال يونس: لا تساوي أكثر من مائتين. فارجع حتى تُردَّها، فقال الأعرابي: هذه تُساوي في بلدنا خمسَ مئة وأنا ارتَضَيْتُهَا.

(١) منفق عليه.

(٢) البقرة: ٢٨١.

كان خلقه القرآن

فقال له يونس: انصرف، فإن التُّصَحَّحَ في الدين خيرٌ من الدنيا بما فيها. ثم ردَّه إلى الدُّكَّانِ، وردَّ عليه مائتي درهم، وخاصَمَ ابن أخيه في ذلك، وقال له: أما استحييتَ؟! أما اتقيتَ الله؟! تَرَبَّحَ مثلَ الثمن وتترك التُّصَحَّحَ للمسلمين؟! فقال له ابن أخيه: والله ما أخذها إلا وهو راضٍ بما. قال يونس: فهلاً رضيتَ له بما ترضاه لنفسك؟!

أخي القارئ:

إن النفس لا تشبع مهما أعطيت ما لم يُغْنِها إيمانٌ ويحكّمها يقين. ولو عرف الناسُ عاقبة ما يعملون، واستقام لهم تدبير العواقب لحكموا التطلعات والرغائب، ووقفوا بأنفسهم عند الحلال البين راضين به مطمئنين إليه..

لا بُدَّ من يوم تعود فيه إلى الله وتُحاسبُ بين يديه ﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۗ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴿١١٢﴾ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٣﴾ ﴿١﴾

وتعال نستمع إلى مَنْ كان خُلُقُهُ الْقُرْآنَ ﷺ وهو ينهانا عن الظلم ويبين لنا نتيجته وعاقبته.

روى مسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « اتَّقُوا الظلمَ فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة واتقوا الشُّحَّ فإن الشُّحَّ أَهْلَكَ من كان قبلكم، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ » ﴿٢﴾

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ ﴿٣﴾ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ » ﴿١﴾

(١) طه : ١١١، ١١٢.

(٢) رواد مسلم.

(٣) أي : التي لا قرن لها.

وفي الحديث المتفق عليه عن عائشة - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « من ظلم قيد شبرٍ من الأرض طُوِّقَهُ من سبعِ أرضين »^(١)

وفي الحديث المتفق عليه عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله يُملي للظالم فإذا أخذه لم يُفلته. ثم قرأ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ »^(٢)

وفي الحديث المتفق عليه عن أبي حميد عبد الرحمن بن سعد الساعدي - ض - قال: استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزدي يُقال له ابن اللثبي على الصدقة فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي إلي، فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: « أما بعد، فإني أستعمل الرجل منكم على العمل ممّا ولأبي الله، فيأتي فيقول: هذا لكم، وهذا هدية أهديت لي أفلا جلس في بيت أبيه أو أمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً، والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة، فلا أعرفن أحداً منكم لقي الله يحمله بغيراً له رُغاءً، أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر » ثم رفع يديه حتى رُئي بياض إبطيه، فقال: اللهم هل بلغت^(٣)

وروى مسلم عن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي أن رسول الله ﷺ قال: « من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة » فقال: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ فقال: « وإن كان قضيماً من أراك »^(٤)

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) هود: ١٠٢.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواد مسلم.

أخي المسلم:

اتق الله في نفسك أن تعرّضها لعذاب الله؛ فإن كل ما تنشده من غير بابه لذة تذهب وتبقى تبعثها. وهناك يتمنى الظالم أن يفندي نفسه بأي شيء. فاحذر ظلم الناس؛ فإنه ظلمات يوم القيامة « يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا »^(١)

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۗ إِنَّمَا

يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾^(٢)

﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينٍ ۗ مَا

لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾^(٣)

أخي المسلم:

في الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ »^(٤)



(١) رواد مسلم.

(٢) إبراهيم : ٤٢.

(٣) غافر : ١٨.

(٤) رواد البخاري.

لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه

أيها القارئ الكريم:

« أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ. أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » ^(١)

ذاك ما عرفته من قبل من حديث النعمان بن بشير المتفق عليه، وهذه المضغة معلومة للإنسان، يعلم أثرها وخطورها، ويدرك مدى سيطرة القلب على أجهزة الجسم وحركة الحياة فيه.

ويُعبر بالقلب عن المعاني التي تختصُّ به من الروح والعلم والشجاعة وغير ذلك. وصلاح القلب - الذي يعبر به عن هذه المعاني - يكون بالإيمان والعلم والمعرفة.

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ ^(٢)

والمراد به: القلب الحي الذي يعقل عن الله.

﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ﴾ ^(٣) لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ

عَلَى الْكٰفِرِينَ ^(٣)

يُنذِرُ مَنْ كَانَ حَيًّا؛ أي: حيَّ القلب.

(١) رواد مسلم.

(٢) ق : ٣٧ .

(٣) يس : من الآية ٦٩ ، ٧٠ .

وعلى هذا القلب تتوقف النجاة وتطيب الحياة ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾^(١)، والقلب لا يكون سليماً إلا إذا خلا من الكفر والنفاق والرياء. وقد ذكر إبراهيم عليه السلام بهذا القلب ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٩١﴾﴾^(٢)؛ لأنه كما أتى عليه ربه ﴿كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٢﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ ۗ أَحْبَبَهُ ۗ وَهَدَانُهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۗ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾^(٣)

إنه القلب الذي يُوصفُ بالإناية، بالرجوع إلى الله والإخلاص في الطاعة، والجنة قد أُدْنيت وقُرِّبت لأصحاب هذه القلوب ﴿وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٩٦﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٩٧﴾ مَن حَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٩٨﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۗ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٩٩﴾ هُمْ مَأْشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿١٠٠﴾﴾^(٤)

(١) الشعراء : ٨٩ .

(٢) الصافات : ٨٤ .

(٣) النحل : ١٢٠-١٢٣ .

(٤) ق : ٣١-٣٥ .

والله - جَلَّ وَعَلَى - يعلم ما في القلوب فالذين يُخَادِعُونَ إنما يُخَادِعُونَ
أنفسهم، وكم من ناسٍ حاولوا أن يُظهِروا خلاف ما انطوت عليه قلوبهم ففضحهم
الله..

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى
مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا
وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ
أَخَذَتَهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۗ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٦﴾ ﴾^(١)

هذا نوع من الناس يتناقض ظاهره وباطنه. إنه يظهر الخير والإخلاص والحب
والتجرد، وقد يُعجبك حديثه وتُعجبك ذلاقة لسانه، وقد يؤكد ما أبداه، ويُشهد الله
على ما في قلبه، والله يعلم السرِّ وأخفى. إن الله يفضح أمره، ويُبين ما طواه في صدره،
إنه أبدى الإخلاص والودَّ والحبَّ والخير وهو ألدُّ الخصام.

إن الله لا تخفى عليه حقيقة ما في النفوس، وهو يؤاخذُ الناس بما كسبت
قلوبهم ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ
وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٢٧﴾ ﴾^(٢)، ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ نُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنْتَهُمْ ﴿٢٨﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ
بِسِيمَتِهِمْ ۗ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٢٩﴾ ﴾^(٣)

(١) الآية: ٢٠٤-٢٠٦.

(٢) النساء: ٦٣.

(٣) محمد: ٣٠، ٢٩.

أما القلوب التي انطوت على الصدق والإخلاص والخير، وعلم الله صدقها فإنه
 - جَلَّ وَعَلَا - يمنحها تأييده ورضاه ويمدها بعباطئه ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ
 الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ
 عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا
 حَكِيمًا ﴿١٩﴾ (١)

كل ذلك قد تحقق؛ لأن الله علم صدق القلوب وما عزمت عليه من جهاد في
 سبيله، فتحقق لها من الله ما قد علمت قبل أن تُحقق ما عزمت عليه وما بايعت
 الرسول ﷺ من أجله، فانظر ما يؤدي إليه صدق القلوب.
 إن أصحاب هذه القلوب يُسارعون إلى الخير، والخير مُسرِعٌ إليهم.

إنهم يتقربون إلى الله، والله يتقرب إليهم « ومن أتاني يمشي أتته هرولة » (٢)
 إن الله يأمر نبيه أن يقول للأسرى الذين دفعوا الفداء من أهل بدر محرضاً على
 الإسلام وداعياً إليه ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ
 اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ
 رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ (٣)، ويهددهم إن هم بقوا على الخيانة والكفر ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا
 خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ (٤)

(١) الفتح : ١٨ ، ١٩ .

(٢) متفق عليه .

(٣) الأنفال : ٧٠ .

(٤) الأنفال : ٧١ .

الله أكبر.. ﴿ إِن يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ﴾ ﴿ فعلى القلب أن تصدق ولها من الله حُسن الجزاء.

إن القلب إذا صدق تبعته الجوارح، فسارعت إلى ما فيه رضى الله، وكفّت عما لا يرضيه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَاقِبَتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴿^(١)

« أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ. أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » ﴿^(٢)

أخي المسلم:

الذين آمنوا تلين قلوبهم لذكر الله ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ﴿^(٣)، وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴿^(٤)

إن أصحاب القلوب السليمة تزيدهم الآيات إيماناً على إيمانهم، أما أصحاب القلوب المريضة فإنها تزيدهم رجساً إلى رجسهم.

(١) المؤمنون : ٥٧-٦١.

(٢) رواد مسلم.

(٣) الأنفال : من الآية ٢.

(٤) الزمر : ٤٥.

﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ
إِيمَانًا^١ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١١٤﴾ وَأَمَّا
الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ
كَافِرُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾^(١)

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً^٢
إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿١١٦﴾ ﴾^(٢)



(١) التوبة : ١٢٤، ١٢٥.

(٢) آل عمران : ٨.

مع القلب في مملكته

إنَّ القلب لا يكون سليماً إلاَّ إذا خلا من الكفر والنفاق والرياء، ولا ينفعُ الناس عند الله إلا سلامة قلوبهم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ

بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾^(١)

وقد عرفت أن صلاح أمر الإنسان يتوقف على صلاح قلبه، وإذا فسد قلب الإنسان فسد كلُّ أمره.

« أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ. أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ »^(٢)

ولذا فإن أيَّ الخراف للإِنسان يكون دلالة على ما في القلوب ﴿وَلَا تَكْتُمُوا

الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾^(٣)

وإن تعظيم شعائر الله دليل على تقوى القلوب ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ

اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٤٠﴾﴾^(٤)

إن الأعمال دالة على ما في النفوس، منبئة عما فيها، ومهما حاول أهل الفسق والضلال أن يخفوا حقيقة ما في نفوسهم، فإن الله مظهرها وكاشف أهلها:

(١) الشعراء : ٨٩، ٨٨.

(٢) رواه مسلم.

(٣) البقرة : من الآية ٢٨٣.

(٤) الحج : ٣٢.

﴿ يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا مَحْزَنًا الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكُمْ مَحْرِفُونَ الْكَلِمَةَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ؕ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ ؕ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ؕ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ (١)

إن أعمالهم كشفت ما في قلوبهم، وكذبت ما أعلنوه بأفواههم.

﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (٢)

قد يكذب اللسان فيقول عن القلب ما ليس فيه، ولكن الأعمال تأتي فتبرهن على الحقيقة وتدل عليها. (وكل إناء بما فيه ينضح).

﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (٣)

(١) المائدة : ٤١ .

(٢) المائدة : ٥٢ .

(٣) التوبة : ٨ .

عند الأعمال تتضح حقيقة ما في النفوس، وعند الشدائد يزهر المعدن الأصيل،
ويتطير الكذب الدخيل.

﴿ لَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ^١ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١﴾ إِنَّمَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَزَّابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ
﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾^(١)

إنما ساعة الشدة التي تتضح فيها معادن الناس ويُبتلي إيمانهم، إنهم قد
حاولوا أن يخفوا الحقيقة بألسنتهم، وأن يُظهروا خلاف ما أضمرته قلوبهم، وهم
يخافون أن يُفتضح أمرهم وأن ينكشف سرهم، وما يخافونه لا بُدَّ أن يقع، وما
يحذرونه لا بُدَّ أن يتم.

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ
مِنَ الطَّيِّبِ ﴿١٤﴾^(١)

﴿ تَحَذِّرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ^٢
قُلِ اسْتَخْرِئُوا إِنِّي اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا تَحَذَرُونَ ﴿١٥﴾^(٢)

(١) التوبة : ٤٤، ٤٥.

(٢) آل عمران : من الآية ١٧٩.

(٣) التوبة : ٦٤.

مهما حاولت القلوب أن تُخفي ما فيها فلا بُدَّ أن تأتي الأعمال لتبرهن على حقيقتها، والشدائد التي تحدد مكانتها ﴿ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطُّولِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ (١) رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (٢) ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْتَ سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَا مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (٣)

إن كل ما أضرروه وقت الرخاء تكشفه الشدة. وما استخفوا به يكشفه علام الغيوب.

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿٨٩﴾ ﴾ (٤) ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۗ فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً مُحْكَمَةً وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ۗ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۗ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ۗ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٩٠﴾ ﴾ (٥)

(١) التوبة : ٨٦، ٨٧.

(٢) التوبة : ١٢٧.

(٣) النساء : ١٠٨.

(٤) محمد : ٢٠، ٢١.

أخي المسلم:

إن القلوب المريضة مهما حاولت أن تدّعي السلامة والعافية فلا بُدَّ أن تَظْهَر الحقيقة في السعي والسلوك. والنفوس تنتصر بما في القلوب من صدق، ويكون ثباتها من الله وإنزال السكينة عليها جزاءً صدقها.

نعم، إن النفوس الصادقة في إيمانها تحظى من الله بالنصر والتأييد، فتثبت حيث يفرع عدوؤها، وتأمّن حين يخاف خصمها، وتجند من جند الله عوناً ومساندة بأمر ربها.

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ^١ سَأَلِيَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَضْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ^٣ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣﴾ ﴾ ^(١)

أنظر ماذا تم في جانب الإيمان، وماذا وقع في قلوب أهل الكُفْرِ والضلال ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾، أما أهل الكفر فإن الرعب لاحقٌ بهم ملقًى في قلوبهم ﴿ سَأَلِيَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ ﴾ ^(٢)

أخي المسلم:

إن سلاح الرعب الذي يسلطه الله على أعدائه، ويُلقِي به في قلوبهم سلاح لا تنتجُه مصانعُ الدول ولا يُشترى بكثير أو قليل من المال. إنه سلاح رباني يُطلبُ بصدق القلوب وصادق الإيمان.

(١) الأنفال : ١٣، ١٢ .

(٢) الأنفال : من الآية ١٢ .

لقد رأينا في بدر يزلزل جمع قريش ويحطم كبرياءهم. ورأيناه يُسلط على أصحاب الغدر والخيانة ونقض العهود. انتصاراً للمؤمنين الصادقين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه. ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٦٦﴾ وَأُورَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِينَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْغُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٦٧﴾ ﴿١﴾

أخي المسلم:

إن في ذلك لذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين، فهل نعي نحن المسلمين واجبنا نحو ديننا ونعرف الطريق للتأييد والنصر؟
إن صلاح القلوب أساس كل خير « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ. أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » (١)
اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وألسنتنا من الكذب، وأعينا من الخيانة، وارزقنا خالص القصد وصادق العمل. آمين.



(١) الأحزاب: ٢٦، ٢٧.

(٢) رواد مسلم.

فتنة الأموال والأولاد

يتعلق الناس بالأموال والأولاد، ويُفْتَنون بهم، وقد ينالهم ما ينالهم من حُبِّ المال والأولاد.

إنهم زخرفُ الحياة وزينتها وما أسرع ما تنطوي الزينة وينقضي الزخرف.

﴿ أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ

عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (١)

وانظر إلى قوله - جَلَّ وَعَلَا - : ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ﴾؛ لتدرك أن

لا خير للإنسان إلا فيما أخضع لطاعة الله وطلب به رضوانه، وأن ما يُشغَلُ به الناس ويغترون به - من زخرف الحياة وزينتها - سريع الزوال والانقضاء.

لذا فإن الحقَّ - جَلَّ وَعَلَا - ينهى المؤمنين أن يتشبهوا بالمنافقين في الاغترار

بالأموال والأولاد، فيقول: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا

أَوْلَادُكُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ

لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢) وَلَنْ يُؤَخَّرَ

اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣)

(١) الكهف : ٤٦ .

(٢) المنافقون : ٩-١١ .

كان خلقه القرآن

إن الإنسان مختبرٌ بماله وأولاده. وكلُّ امتحانٍ له نتيجه. وعند الله الأجرُ
والجزاء ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوَافِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ
عَظِيمٌ﴾ (٢٨) ﴿١﴾

وكم فتنَ ناسٌ بأموالهم وأولادهم، وصدُّوا عن السبيل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي
قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِء كَافِرُونَ﴾ (٢٨) وَقَالُوا نَحْنُ
أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (٢٨) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن
يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ
بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ هُم جَزَاءُ
الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ (٢٧) ﴿١﴾

وكم من ناسٍ قد استدرجوا بما أعطوا من مالٍ وبنين، وظنوا أنهم بما أعطوا
مُكرمين ﴿أَتَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِء مِّن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ (٢٧) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي
الْخَيْرَاتِ ؕ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٧) ﴿١﴾

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَنهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي
أَكْرَمَنِي﴾ (٢٧) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَنهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِي﴾ (٢٧) ﴿٤﴾

(١) الأنفال : ٢٨ .

(٢) سبأ : ٣٤-٣٧ .

(٣) المؤمنون : ٥٦،٥٥ .

(٤) الفجر : ١٥،١٦ .

عندما ابتلي الإنسان فأكرم بالمال والجاه، مُكِّن من التنعيم بما اغتر ونسي شُكْرَ المنعم، وظن أنه نال ذلك عن استحقاق وأنه أهلٌ لهذا الإكرام، وعندما ضيق رزقه شغل بالحزن عن الصبر، واعتبر أن ما وقع له إهانة وقد رُدَّ هذا الزعم الخاطيء بحرف زجر وردع هو: كلا، أي: ليس الإكرام عن استحقاق ولا التضييق عن إرادة إهانة، وإنما الأمر أمرٌ امتحان واختبار. فالملكَمِ مَنْ أخضع كل شيء لطاعة ربه.. والمهان مَنْ شغل وقتن واغترَّ بما أُعطي.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ (١)

إن المؤمن بالله يرى أن أمره كله خاضع لربه، فلا يركن إلى زهرة حياة أو زينة متاع.

إن المؤمنين يتأملون رضی الله في كل شيء، فلا يدفعهم حُبهم للمال أن يطلبوه من غير وجهه، أو يضعوه في غير موضعه؛ لأنهم يعلمون أنهم مُحاسَبون بين يدي الله على ما أعطاهم. فلا يدفعهم حُبهم لأولادهم أن يدخلوا مداخلَ السوء من أجل متعتهم وراحتهم، إن حُبهم سينقلب إلى عداوة وُفرقة عندما يرى الإنسان العواقب والنتائج.

والله - جَلَّ وَعَلَا - يحذّر المؤمنين من أن يحملهم حُبهم لأولادهم وأزواجهم على السعي في اكتساب الحرام وارتكاب الآثام.

فإن حب متاع الحياة الدنيا وزينتها قد يستولي على بعض النفوس فتضعف فيه الرغبة في العمل الذي يُرضي الله ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ

(١) آل عمران : ١٠.

وَأَوْلَادِكُمْ وَعَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ ﴿١﴾

إن بعض الأزواج والأولاد قد يجرونكم إلى ما لا يُوقِعُكم فيه إلا الأعداء، فكونوا على حذر فيما يريدونه منكم ويطلبونه، وزنوا أموركم بميزان الشرع، ولا تطيعوهم في معصية الله. إنهم قد يحملونكم على ترك الطاعات ويورطونكم في اقتراف المحرمان فيكون هلاككم على أيديهم.

رُوي أن أناساً من أهل مكة أسلموا، ولما أرادوا الهجرة إلى المدينة قال لهم أزواجهم وأولادهم: لمن تتركونها هنا؟ فرقوا الحالم، وامتنعوا عن الهجرة، ولما هاجروا فيما بعد وعلموا فضل من سبق إلى الهجرة، وأهم كانوا عرضةً للخطر، اشتط غيظهم على أزواجهم وأولادهم، وعزموا على الانتقام منهم. ولما كان ما حصل من الأزواج والأولاد بعيداً عن قصد العصيان رأف الله - سبحانه وتعالى - بهم، فقال:

﴿ وَإِنْ تَعَفَّوْا ﴾ عن ذنوبهم، فلا تعاقبهم، ﴿ وَتَصَفَّحُوا ﴾ عن لومهم وتسترُوا ما حصل منهم فإن الله يقابلكم بالمثل، تفضلاً منه لأنه كثير المغفرة لمن تاب، رحيم بمن ندم على ما فرط منه ﴿ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢)، ثم بين - سبحانه - منشأ البلاء بالأموال، والأولاد. فقال: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (٣) فلا يشغلكم حبهم عن طاعة ربكم وابتغاء مرضاته ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ رَاجِرٌ عَظِيمٌ ﴾

(١) التغابن : من الآية ١٤ .

(٢) التغابن : من الآية ١٤ .

(٣) التغابن : من الآية ١٥ .

أخي المسلم:

احذر فتنة الأموال والأولاد. واعلم أن حبك لأولادك وأهلك في أن تُحنبهم معصية ربك، لا في تحقيق لذة عاجلة ومتعة زائلة تذهب وتبقى تبعثها ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١)

ليس إكرامك لأهلك في أن تُحقق لهم الرغبات دون نظرةٍ إلى العواقب، بل إكرامك لهم أن تذكرهم بالله وأن تُحنبهم معصيته. إكرامك لهم أن تحملهم على طاعة الله بالنصح والتأديب، واقتد في ذلك بمن كان خلقه القرآن ﷺ، فقد عود أهلُه أن يُقيموا هنا إقامة مسافر، وأن تكون قلوبهم متعلقة بالله ورسوله والدار الآخرة.

روى مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قال: لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين.

« مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَآكِبٍ اسْتَسْطَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا » (٢)

اللهم اجعل هوانا تبعاً لما جاء به نبيك ﷺ.

(١) التحريم : ٦.

(٢) رواد الترمذي.

ذو الوجهين

أيها القارئ الكريم:

تستقيم حياة الناس إذا استقامت مقاصدُهم وطابَ سعيهم. والإنسان في هذه الدنيا لا يعيش وحده، بل يحيا في مجتمع تتداخل مصالحه، وعندما يكون تنافس الناس على مرضات الله تزداد الروابط وتحسن الصلات، وينعمون بنعمة الإيثار والتعاطف والتراحم؛ لأن مرضات الله تكون في طاعة الخالق والبر بال مخلوق.

وعندما يكون التنافس في غير طاعة تتعدد الأهواء ويجدُ الشيطانُ وأعوانه مجالاً للفساد والإفساد. والشيطان - دائماً - دافعٌ إلى التنافس في غير طاعة، بما يعد من فقر ويأمرُ بفحشاء.

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ^ط وَاللَّهُ يَعِدُكُم

مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ^ط وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ^(١)

﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا

مُبينًا ﴿٢٦٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ^ط وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٢٧٠﴾ ^(٢)

وفي المجتمعات البشرية أصنافٌ من الناس استحوذ عليهم الشيطانُ فحوفهم من الفقر وأغراهم بالمنفعة، فأخضعوا دوافعهم لمنافعهم، وعاشوا بين الناس يلقون هذا

(١) البقرة : ٢٦٨

(٢) النساء : من الآية ١١٩، ١٢٠.

بوجه وذاك بوجه، إن رأوا نفعهم في الوقعة بين الناس أسرعوا إليها، يمدحون الناس في وجوههم، ويذموهم إذا التقوا بخصومهم. ينشدون في جميع الأحوال منفعتهم.. وتقوم علاقاتهم مع الناس على أساس ما يربحون من ورائهم. ولا يريدون أن يخسروا أحداً من الناس؛ لتكون منفعتهم من جميع الناس. ولكن الله - جَلَّ وَعَلَا - يعاقبهم، ويعاملهم بنياتهم ومقاصدهم فَيُعْضُ الناس فيهم؛ لأنهم لم ينشدوا مودة الناس قربي إلى الله، وإنما طلبوها التماساً للمنفعة، وسرعان ما يتقلبون فلا يثبتون على مودة، بل يجذبهم بريق المنفعة فيقلبون أو يُدْبِرُونَ حيث يتوهموها ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (١) إن استفاد من الإسلام أعلن حبه له، وإن ابتلي بأي لون من الابتلاء سخط عليه. إقبال حيث تكون المنفعة وإدباراً إذا مسهم ضرر..

﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ

رَحْمَةً ۖ وَلَا تَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (٢)

أما المؤمن فحَسَنُ الظن بالله يؤمن بقدره، يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، يقول كلمة الحق بيتغي بها وجه ربه، ويسعى في الأرض بيتغي من فضل الله مطمئن القلب رضي النفس، يعلم أن أجله إذا جاء لا يؤخر، وأن رزقه بيد الله وحده، ولن تموت نفس حتى تستوفي رزقها. إنه يصدق الناس ولا

(١) الحج : ١١ .

(٢) الأحزاب : ١٧ .

يرائيهم، ويطلب مودتهم ولا يتوكل عليهم، يلتمس رضا الله فيما يأخذ ويدع، يحبُّ الله ويبغض الله.

لا يتلوّن ولا يتذبذب. راضٍ عن الله في الشدة والرخاء، محبٌّ لدينه، صابرٌ في البأساء والضراء.

بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، لا حقودٌ ولا حسود، يأمنُ النَّاسَ ويأتمنونه، راحة نفسه في نُصرة دينه، تسرُّه حسنته، وتسوؤه سيئته.

بإيمان المؤمن تطيب الحياة، ولا يجد أصحاب الوجوه المتعددة مجالاً للفساد والإفساد. ينحسر الكذب والتناق والرياء. فلا تسمع إلا النصيحة الخالصة والموعظة الحسنة.

رُوي أن سليمان بن عبد الملك - الخليفة الأمويّ - قدِمَ المدينةَ للزيارة، وبعث إلى أبي حازم، فلما دخل عليه قال: تكلم يا أبا حازم. قال: نعم أتكلّم يا أمير المؤمنين، لا تأخذ الأشياء إلا من محلّها، ولا تَضَعُها إلا في أهلها.

قال: ومن يقوى على ذلك؟

قال: من قلده الله من أمر الرعيِّ ما قلّدك.

قال: عطني يا أبا حازم.

قال: اعلم أنّ هذا الأمر لم يصل إليك إلا بموت من كان قبلك، وهو خارج

من يديك بمثل ما سار إليك.

قال: مالك لا تجي إلينا؟ قال: وما أصنع بالحيِّ إليك يا أمير المؤمنين؟ إن

أدبيني فنتني، وإن أفصيتني أخزيتني، وليس عندك ما أرجوك له، ولا عندي ما أخافك عليه.

قال: فارفع إلينا حاجتك.

قال أبو حازم. قد رفعتها إلى مَنْ هُوَ أَقْدَرُ عَلَيْهَا مِنْكَ، فما أعطاني منها قَبِلْتُ، وما مَنَعَنِي رَضِيتُ.

بهذا النمط الرفيع من الرجال المؤمنين تستضيء ظلمات الحياة، وبهم يُعرف تأثير الإيمان في أخلاق الرجال. عظة في أدب وصدق واحترام، وما أحوج الناس للكلمات الصادقة تنبّه الغافل وتوازير المستقيم. ما أحوجهم إلى النصح البار يُقدّم إليهم ابتغاء مرضات الله. بل ما أحوج المجتمعات البشرية إلى نور الإيمان يطوي ظلامها، وإلى عدله يصون حقها، وإلى برّه يحفظ مودتها. ما أحوجهم وهم ينشرون الأمن أن يلتقوا على الإيمان.

إن الدنيا في حاجة إلى أمن المؤمن وإيمانه، في حاجة إلى طهره وإسلامه، في حاجة إلى أن ترى العدل ميزاناً للعدو والصديق والقريب والبعيد. وهذا كله لا يتحقق إلا بمؤمنين يعرفون حق الله عليهم، ويعتزون به دون سواه، يصدقون مع الناس ولا يراؤونهم، وينصحونهم ولا يغشونهم، يرجون الله واليوم الآخر ويذكرون الله كثيراً.

عن أبي عمرة سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: « قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ. قَالَ: قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقَمْتُ » ^(١)

وروى ابن ماجه عن سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: « أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذُنْبِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمَلْتُهُ أَحْبَبْتِي اللَّهُ وَأَحْبَبْتِي النَّاسُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ » ^(٢)

اللهم اجعل هوانا تبعاً لما جاء به نبيك صلى الله عليه وسلم.

(١) رواد أحمد

(٢) رواد ابن ماجه.

اللَّهِ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ

إن الناس في حاجة إلى عون الله في جميع أحوالهم، ولولا الله ما كانت لهم حياة ولا كُتبت نجاتهم، ومن رحمة الله بالعباد أن جعل عَوْنَهُ للعبد ما كان العبد في عَوْنِ أخيه.

روى مسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» ^(١)

إن الجزاء من جنس العمل..

﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ ^(٢)

إن الله يحب من العباد أن يتراحموا فيما بينهم، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، وهو يحبهم على فعل الخير بما أعدَّ لهم من ثواب وأجر؛ لينعموا في الحياة أولاً بالمودة الصادقة، والأخوة البارة والكرامة المصونة، والعلم النافع، والسعي المطمئن، والله في

(١) رواه مسلم.

(٢) الشورى : من الآية ٢٣.

عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

إنَّه الدين الفطري الذي ينشد الآخرة بعمل الدنيا، ويطلب مرضات الله في البر بخلقه ويجعل عون الله في معاونة الناس. وطريق العمل سبيلاً إلى الجنة.

إنه الدين الفطري الذي لا يُفَرِّق بين رُوح وجسد، ولا بين دُنيا وأخرى، فيجعل من تفریح الكُربة في الدنيا تفریحاً لكَرب يوم القيامة، وما أيسر كُرب الدنيا مهما عظمت، وما أعظم كُرب الآخرة مهما صَغُرت، كما يجعل تيسير العُسر فيها تيسيراً لُعر الدنيا والآخرة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۗ لِيُؤْفِقَهُمْ ۗ ۝﴾

أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿١١﴾

خرَجَ الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: « أَيَّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ، وَأَيَّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤْمِنًا عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ، وَأَيَّمَا مُؤْمِنٍ كَسَا مُؤْمِنًا عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خَضِرِ الْجَنَّةِ » (١)

وروى ابنُ أبي الدنيا بإسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: « يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط، وأحوج ما كانوا قط، وأظماً ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا قط، فمن كسا الله كساه الله، ومن أطعم الله أطعمه الله، ومن سقى الله سقاه الله، ومن عفا الله أعفاه الله »

(١) فاطر : ٣٠، ٢٩.

(٢) رواه الترمذي.

أخي المسلم:

ما أعظم هذا الدين وهو يجعل نجاةك في البر بأخيك. ولن يكون البرُّ براً إلا إذا خلا من المنِّ والأذى. ولن يخلو من المنِّ والأذى إلا إذا قُصِدَ به وجهُ الله وابتعد عن السمعة والرياء.. وهذا الذي يترتب عليه الجزاء في الآخرة ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مِّنَّا وَلَا أَدَّى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٣١﴾ * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعَهَا أَدَّى^١ وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا^٢ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا^٣ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴿^(١)

« وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ »

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفَتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ » ^(٢)

وفي المسند عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « مَنْ أَرَادَ أَنْ تُسْتَجَابَ دَعْوَتُهُ، وَأَنْ تُكْشَفَ كُرْبَتُهُ، فَلْيَفْرَجْ عَنِ مُعْسِرٍ » ^(٣)

(١) البقرة: ٢٦٢-٢٦٤.

(٢) رواد البخاري.

(٣) رواد أحمد.

« وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ »
 « لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُعْيِرُوهُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ
 عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ
 رَحْلِهِ »^(١)

« وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ »
 وانظر إلى ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته، وقد كان خلقه القرآن.
 خرج الإمام أحمد من حديث بنت حبيب بن الأرت قالت: خرج حجاب بن
 سرية، فكان النبي ﷺ يتعاهدنا حتى يحلب لنا عذرة في جفنة فتمتلئ حتى تفيض، فلما
 قدم حجاب حلبها فعاد حلابها إلى ما كان.
 وكان أبو بكر ﷺ يحلب للحمي أغنامهم، فلما استخلف قالت حارية منهم:
 الآن لا تحلبها فقال أبو بكر: بلى إني لأرجو ألا يغيرني ما دخلت فيه عن شيء كنت
 أفعله.

وكان عمر ﷺ يتعاهد الأرامل يستقي هن الماء بالليل.
 وقال مجاهد: صحبت ابن عمر في السفر لأخدمه فكان يخدمني.
 وفي صحيح مسلم عن أنس ﷺ قال: « كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي السَّفَرِ، فَمِنَّا
 الصَّائِمُ، وَمِنَّا الْمُفْطِرُ. قَالَ: فَتَزَلْنَا مَنَزِلًا فِي يَوْمٍ حَارًّا، أَكْثَرْنَا ظِلًّا صَاحِبُ الْكِسَاءِ،
 وَمِنَّا مَنْ يَتَّقِي الشَّمْسَ بِيَدِهِ. قَالَ: فَسَقَطَ الصُّوَامُ، وَقَامَ الْمُفْطِرُونَ، فَضَرَبُوا الْأَيْتِيَةَ،
 وَسَقَوْا الرِّكَابَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالْأَجْرِ »^(٢)
 وفي مراسيل أبي داود: « أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ قدموا يُثْنون
 على صاحب لهم خيراً، قالوا: ما رأينا مثل فلان قط، ما كان في مسير إلا وكان في

(١) رواد الترمذي.

(٢) رواد مسلم.

قراءة وما نزلنا منزلاً إلا كان في صلاة، قال: فمن كان يكفيه ضيعته حتى ذكر من كان يعلف جملة أو دابته؟ قالوا: نحن. قال: فكلكم خير منه))

أخي المسلم:

دينك دينُ عملٍ صالحٍ وخُلُقٍ بارٍّ، فاستمسك به وادع الله ألا يُمتك إلا عليه.

﴿ تَوْفَىٰ مُسْلِمًا وَالْحَقَّ بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ

مُسْلِمُونَ ﴾ (٢)



(١) يوسف : من الآية ١٠١.

(٢) آل عمران : ١٠٢.